

الكشاف

طفئت ناره اعترض سائل فقال : ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له : ذهب
□ بنورهم . أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان . فإن قلت : قد رجع الضمير في
هذا الوجه إلى المنافقين فمأمرجه في الوجه الثاني قلت : مرجعه الذي استوقد لأنه في
معنى الجمع . وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في " حوله " فللحمل على اللفظ تارة وعلى
المعنى أخرى . فإن قلت : فما معنى إسناد الفعل إلى □ تعالى في قوله : " ذهب □ بنورهم
" قلت إذا طفئت النار ناره اعترض سائل فقال : ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا
المستوقد فقيل له : ذهب □ بنورهم . أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان .
فإن قلت : قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فمأمرجه في الوجه الثاني قلت :
مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع . وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في " حوله "
فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى . فإن قلت : فما معنى إسناد الفعل إلى □
تعالى في قوله : " ذهب □ بنورهم " قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر
فقد أطفأها □ تعالى بذهب بنور المستوقد . ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه
مستوقد نار لا يرضاها □ . ثم إما أن تكون نارا مجازية كمنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك
النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء . ألا ترى إلى قوله : " كلما أوقدوا نارا للحرب
أطفأها □ " المائدة : وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض
المعاصي ويتهدوا بها في طرق العبث فأطفأها □ وخيب أمانيهم . فإن قلت : كيف صح في
النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد قلت : هو خارج على طريقة المجاز المرشح
فأحسن تدبره . فإن قلت : هلا قيل ذهب □ بضوئهم لقوله : " فلما أضاءت " قلت : ذكر النور
أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة . فلو قيل : ذهب □ بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة
وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا . ألا ترى كيف ذكر عقبيه "
وتركهم في ظلمات " والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف
أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهم لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله : " لا يبصرون " . فإن
قلت : فلم وصفت بالإضاءة . قلت : هذا على مذهب قولهم : للباطل صولة ثم يضمحل . ولريح
الضلالة عصفه ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح . والفرق بين أذهبه وذهب به أن
معنى أذهبه : أزاله وجعله ذاهبا . ويقال : ذهب به إذا استصحيه ومضى به معه . وذهب
السلطان بماله : أخذه " فلما ذهبوا به " " إذا لذهب كل إله بما خلق " المؤمنون : ومنه :
ذهب به الخيلاء . والمعنى : أخذ □ نورهم وأمسكه " وما يمسك فلا مرسل له " فاطر : فهو

أبلغ من الإذهاب . وقرأ اليماني : أذهب اـ نورهم . وترك : بمعنى طرح وخلي إذا علق بواحد
كقولهم : تركه ترك ظبي ظله . فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال
القلوب كقول عنتره : .
فتركته جزر السباع ينشئه